مساهمة الشباب

"عندما تقولُ الفتاةُ شيئًا، أتعلَّم مِنها شيئًا، أتعلَّم مِنها"

"سارة" مع سارة الهِويدي

سارة فتاة مراهقة تبلغ من العمر ٩١ عامًا من مجتمع اللاجئين السوريين في الأردن ولديها طفلان صغيران. انضمَّت سارة إلى مجموعة البحث التشاركي للفتيات المتزوجات في الأردن التي أشرف عليها فريق النوع الاجتماعي والمراهقة: دليل عالمي (GAGE) عام ٩١٠٢. تجتمع المجموعة بانتظام منذ أكثر من أربع سنوات، وتشارك سارة في مناقشات تغطي مجالات محددة وفي التصوير الفوتوغرافي التشاركي. وركَّزت المناقشات التي تشارك فيها سارة على ما يلي: حقوق اللاجئين في الحصول على المعلومات والخدمات الأساسية؛ وحقوق الفتيات والشابات في الحصول على الدَّعم والخدمات لحمايتهن من التحرش والاعتداء الجنسي؛ وحقوق الفتيات في تجنب زواج الأطفال وتأمين التعليم والمهارات اللازمة لتحقيق الاستقلال الاقتصادي. نظرًا لارتفاع مستويات زواج الأطفال بين مجتمع اللاجئين السوريين في الأردن، فإن رفع مستوى الوعي حول توافر المعلومات والخدمات والدعم للفتيات المتزوجات هو أمر بالغ في الأهمية للالتزام بخطة التنمية المستدامة لعام ٠٣٠٢ التي تتضمَّن «عدم ترك أي شخص خارج المجوعة».

«نحن مجموعة مكونة من ٤١ فتاة، تعرَّفنا على بعضنا البعض جيدًا أثناء المشاركة في نفس المجموعة. وقد ناقشنا أمورًا عن مواضيع مختلفة تتضمَّن التصوير الفوتوغرافي وزواج الأطفال والحياة الاجتماعية والتحدِّيات والمشاكل والمستشفيات والخدمات. كما تحدَّثنا بعد ذلك أيضًا عن عدم المساواة ... أتذكر في الجلسة الأولى [الجلسة التي تم فيها رسم خرائط الخدمة] أننا حَّددنا أماكن العيادات الصحية على ورقة كبيرة قمنا باستخدامها ووضعنا عليها علامات تُطابِق أماكن تواجد العيادات الصحية وكذلك المستشفيات التي يذهب إليها اللاجئون السوريون. كما قمنا أيضًا بوضع علامات على أماكن تواجد مقدمي الخدمات، وكذلك الخدمات المجانية والخدمات التي ندفع مقابلها، والمدارس ومقدمي المساعدات وكل شيء ... وذهبنا أيضًا في رحلات ميدانية. وقد قمنا بتصوير المستشفيات والمدارس ومراكز التسوق وتعرَّفنا على المزيد من الأماكن. كما قمنا بتصوير مظاهر تعبر عن وجود المشاكل في المجتمع، بما في ذلك الفتيات الحوامل ... لقد كانت تجربة رائعة. أتذكر أنني التقطت صورة بينما كنت أضع يدي على بطني وأنا حامل – كنت في شهري السابع أو الثامن من الحمل ... عندما انضممت إلى الفريق، كان قد مضى على زواجي ما يقارب الستة أشهر، فقد تزوجت عندما كان عمري ستة عشر عامًا...

لم أفوِّت أي جلسة. كان الأمرُ رائعًا منذ البداية وحتى الآن. نأمل أن يكون لدينا المزيد من الجلسات وألا يكون هناك وقت انتظار كبير بينها ... عندما نلتقي بعضنا البعض، نتناقش ونتبادل الآراء ونتعرَّف على أشياء لم نكن نعرفها من قبل ... عندما تقول فتاة شيئًا، أتعلَّم منها، وعندما أشارك شيئا لا تعرفه، [الآن] تعرف ما تحدَّثتُ عنه... قمنا بالتحدُّث عن الفتيات وكيف يمكن أن يواجهن شخصًا قد يضايقهن أثناء ذهابهم إلى المدرسة أو العودة منها. وتحدَّثنا أيضًا عن الوضع الذي تعيشه الفتيات عندما يواجهن أحدًا من أفراد عائلتهم

الذكور (سواء كانوا من نفس العائلة أو من أولاد العم) وكيف أنَّهم يقومون بمنعهم من الذهاب إلى المدرسة عند رؤيتهن. وإذا ما طُلِّقَت فتاة أو انفصلت عن زوجها، يعدُّ ذلك مشكلة كبيرة في مجتمعنا... لقد أحببت جميع الجلسات ... كانت كل جلسة أجمل من سابقتها. ومع كل جلسة، صِرنا نسأل المزيد من الأسئلة ونخوض في المزيد من المحادثات ونتعمَّق في المزيد من المناقشات ...

أقوم بمشاركة قصصي مع والدتي - ولكن ليس القصص الخاصة بالفتيات – وأشارك معها الأسئلة التي تحدثنا عنها ومواضيع أخرى [المقالات القصيرة] ... أخبر زوجي - إذا سألني كيف كانت الجلسة - أننا تناولنا الغداء واستمتعنا، لكنني لا أشارك مناقشات الفتيات للحفاظ على خصوصيتهن. لم يسألني زوجي أبدًا عن التفاصيل ... زوجي ليس رجلًا معقدًا، فهو يشكو فقط من طول الوقت الذي أقضيه هناك... حيث نذهب إلى هناك لساعات طويلة. إذا تركت الطفل معه وذهبت إلى الجلسة وتأخرت، فإنه ينزعج، لكن عندما آخذ طفلي معي لا يمانع إذا عدتُ متأخرةً.

خلال فترة وباء الكورونا، استخدمنا تطبيقاً عبر الإنترنت - كان بمثابة قناة الاتصال الخاصة بنا، وكان ذلك التطبيق يتيح لنا خيار إجراء مكالمات فيديو باستخدام الكاميرا، أو مكالمات صوتية فقط بدون كاميرا. وتحدثنا أيضًا مع فتيات من بلدان أخرى (لبنان). تعرفنا عليهم – وعلى حياتهم ومن ماذا يعانون، وما هي الخدمات التي لديهم هناك وما هي الخدمات المتاحة هنا، وأين هو أفضل مكان للعيش... وما هي الأخطاء التي لدينا هنا وما هي الأخطاء لديهم هناك ... كما ونناقش أيضًا بعض القضايا في مجتمعنا مثل الاغتصاب والتحرش وعدم المساواة والطلاق وزواج الأطفال ...

كان من الجيد التواصل عبر الإنترنت طوال فترة الكورونا ولكن عندما كنا نجلس وجهًا لوجه، كان يمكن لأي شخص أن يفهم أكثر ويتحدث أكثر ويشارك أكثر، ولكن في أثناء تحدثنا باستخدام التطبيق [عبر الإنترنت] كان يجب أن تتناوب - كلما أراد شخص أن يتحدث، يجب أن يقول اسمه ثم يتحدث.

أَحببتُ الجزء المتعلِّق بالتصوير الفوتوغرافي. لقد التقطتُ الكثير من الصور ولكنني أحببت تلك الصورة لأبنائي - أثناء جلوسهم على كرسي هزاز وألعابهم متناثرة حولهم - بشكل خاص. لقد تحدَّثنا عن مدى صعوبة رعاية الأطفال وأشياء أخرى ... لأنني كنت أمًا جديدة في ذلك الوقت فقد كنت أعتني بطفلي طوال الوقت لأنني أنجبته خلال فترة وباء الكورونا...

أثناء الوقت الذي نقضيه في تلك الجلسات، نكتسب المعرفة ونعبر عن آرائنا ولكننا غير قادرين على القيام بذلك في خارج إطار الجلسات. نتعلم المزيد، ونفهم الموضوعات بشكل أكبر، ونأخذ أفكارًا جديدة حول المجتمع... عندما نسمع قصصًا عن فتيات متزوجات في سن مبكرة، لم نكن على دراية بالمخاطر المحيطة بهذه الظاهرة من قبل. لقد اكتسبنا أفكارًا جديدة لم نكن نعرف عنها من قبل. علَّمتنا هذه القصص [المقالات القصيرة] مفاهيم جديدة وقرَّرنا أنه عندما يكون لدينا أطفال لن نقوم بتزويجهم في سن مبكرة، بل سنقوم بتعليمهم. التعليم هو سلاحهم - إنه أفضل من تزويجهم في وقت مبكر وترك فتياتنا يفقدن أنفسهن ومستقبلهن...

في الجلسات، نتناقش ونستمتع معًا، ولكن عندما ألتقي بجيراني، يمتلئ الجو بأكمله بالكثير من الكلمات السيئة والسخرية والتهكُّم - هذا كل شيء. خارج هذه المجموعة، ليس لدي سوى زوجي وأصهاري - لكن لا أحد منهم في عمري ...

في مجتمعنا، يُعتبر من «العار» أن تتحرك النساء وحدهن. وإذا كان المكان بعيدًا عن منزلها، فلن يسمحوا لها بالمشاركة على الإطلاق. ولكن إذا كانت هناك حافلة تأخذها من منزلها إلى المركز ثم تعيدها إلى المنزل، فلا بأس أن تشارك ... نعم، أنا أقول لك، إذا لم يكن هناك حافلة، فلن أتمكن من الانضمام إلى هذه الجلسات بعد الآن، وأقول هذا بكلِّ صراحة... ونعم، يتم توفير رعاية للأطفال، ولكننا نحب تركهم في المنزل للحصول على مزيد من الراحة وتجنُّب مطاردتهم طوال الوقت.

عندما بدأت الجلسات لأول مرة في هذه المجموعة وشاركت بها، صِرتُ أفكِّر بأنه إذا عدت في الزمن لأصبح شخصيتي الأصغر سنًا، فلن أتزوج في وقت مبكر أبدًا، ولن أترك المدرسة أبدًا، خاصة الآن، بعد أن عرفت أن التعليم هو أفضل سلاح للدفاع عن النفس. لن أخاف من أن أكون نفسي أبدًا. لَن يُهمَّني إذا ما طُلِّقت في المستقبل، كما ولن أقلق حيال إمكانية إيجادي لوظيفة ومصدر دخل حينئذٍ. لن أخاف من أنهم قد يأخذون أطفالي في المحكمة على الرغم من أنهم قد لا يعطوني أطفالي لأنني لا أعمل ولا يمكنني إعالتهم... قبل المشاركة، لم أكن أعرف هذا على الإطلاق. الآن لدي المزيد من الوعي».

صورة رقم ٧
فتاة تشارك في إجراء البحث التشاركي في الأردن
© ناتالي بيرترامز / أجنيزكا ماتاشوسشكا / النوع الاجتماعي والمراهقة: دليل عالمي 2023

صورة رقم ٨
نشاط تشاركي في ورشة عمل تم إجراؤها في الأردن
© كفاح بني عودة / النوع الاجتماعي والمراهقة: دليل عالمي 2023